

العائدون من السفر وازدواجية المعايير أ. أحمد عناية الله الصحفي



في كل عام تحط طائراتنا في مطارات معظم عواصم ومدن العالم صيفاً وعلى متنها أفواج بشرية اعتادوا السفر ليس للتجارة ولا لطلب العلم وإنما للسياحة وهرباً من حرارة الصيف الشديدة وهم كثر وفي تزايد مستمر لدرجة خلو بعض الاحياء من أهلها إلا قليلاً. وهذا واقع ليس لنا إعتراض عليه فهو يقع تحت مظلة الحرية الشخصية ولكن الملفت للنظر هي اختلاف الصورة وازدواجية المعايير في السلوك بين الداخل والخارج نوجزها في ست وقفات:

الوقفة الأولى:
الإلتزام بالإعداد الجيد والتخطيط المسبق للرحلة بفترة طويلة بدءً من تحديد وقت الإجازة مبكراً ثم حجز الطيران والفنادق وتأجير السيارات وأخيراً شراء الملابس وبعض الاحتياجات ... تخطيط يفوق استعدادتنا لاستقبال مناسباتنا العامة كالاعياد أو الخاصة كالزواج .. هذا أمر ملاحظ وهو إيجابي ولكن يدخل في موضوع الإزدواجية كما سنبين لاحقاً.

الوقفة الثانية:
السفر عند أغلبنا ليس من أجل الاطلاع على ثقافات الشعوب والمجتمعات الأخرى ومدى تطورها واكتساب مزيد من المعارف والعلوم والثقافات والتجارب والتفكر في آيات الله .لا ليس من أجل ذلك بل لمجرد السفر بذاته وغيره من الغير و إرضاء للعائلة والأبناء وطلباً للأجواء الباردة والمناظر الطبيعية الخلابة والتجول بالأسواق و شراء المزيد مما لا حاجة لنا به .

الوقفة الثالثة:
إذا وصلنا بلداً من البلدان فإننا للأسف لا نزور متحفاً ولا مكتبةً ولا مدرسةً ولا كليةً ولا جامعةً ولا مصنعاً ولا دار نشر ولا نهتم بارتياح المعارض ذات التوجه التعليمي أو الثقافي ، وإن مررنا بها كنا ك عابر سبيل ليس لنا بها حاجة ولا نوليها اهتماماً.

الوقفة الرابعة:
نلتزم بالنظام وتحترم القوانين ونمشي على الصراط المستقيم ونحن فخورين بذلك ونثني على ذلك البلد ونظامه ولا نرمي من نوافذ سيارتنا ورقة ولا عقب سيجارة ولا نترك بقايا اطعمتنا ولا مخلفاتنا خلفنا في أماكن جلوسنا بالحدائق أو غيرها. نهتم بذلك ونعلم الأبناء ونحثهم عليه وربما عاقبنا منهم من يخالف هذا النظام .

الوقفة الخامسة:
نلتزم بالطواير الطويلة في سيارتنا أو راجلين على أقدامنا و نتقيد بنظام السير والمرور بكل حذافيره ونحترم نظام الرصد الآلي وكاميرات الطرق والشوارع .. بل ونشيد بهكذا نظام !

الوقفة السادسة:
لا نتذمر ولا نعاتب ولا نطالب ولا نتهم أحداً بقصور ولا نلتفت لعورات النظام ولا لقصور أي دائرة خدمية ... فلا ترى عيوننا إلا كل جميل و تنبهر بكل إنجاز ، وتغمض عن كل قصور أو خلل وكأن حالها يقول.
عين الرضا عن كل عيب كليله ... كما أن عين السخط تبتدئ المساوياً.

الوقفة السابعة:
نفق بسذاء وندفع بالعملة الصعبة لخدمات ومشتريات أضعاف أسعارها في بلادنا ... ندفع بطيب نفس سواء في المطاعم أو المواصلات أو الملاهي أو الأسواق ولا نشتكى !
هكذا نحن أو بعضنا خارج بلادنا حتى يخيل إليك أننا أناس آخريين و تنكر من تعرف و يختلط عليك الأمر ! مجتمع مرتب منظم مخطط متقيد بالنظام مرحباً به ، غير متذمر ولا ساخط ، متقبلاً لدفع الرسوم والضرائب حتى على مواقف السيارات واستخدام دورات المياه . يدفع بلا علامات تعجب !! ولا استفهام ؟؟ بل في كثير من الأحيان يقرنها بابتسامة جميلة كجمال الطبيعة . ونظرة رضا وتقبل تقول لا تثريب عليكم.

حتى إذا ما انقلبنا إلى ديارنا وعدنا إلى أوطاننا خاوية جيوبنا منهكة أجسادنا و وطئت أقدامنا ترابها ، انقلبنا من حال إلى حال ، من عالم الرضى إلى السخط ومن الإعجاب إلى العتاب ومن النظام إلى الفوضى .. فلا ألتزم بالنظام ولا التقيد بالقانون ولا احترام لحقوق الآخريين ولا تخطيط ولا ترتيب أو تنظيم في كل مجالات حياتنا ! فلما هذه الازدواجية .. يا هذا ؟؟

نعم هذا لا يعمم على الجميع ولكنه حال الأغلبية الساحقة بكل أسف .. فأين ذهبت دروس السفر؟! لماذا لا نطبق ما تعلمناه ومارسناه وأعجبنا به هناك؟! هل الخلل فينا؟ أم في البيئة؟ أم في النظام؟ أم في الآخريين؟! أين يكمن السبب يا ترى؟